هذا وقد جاء فى مقدمة الفتح لابى جندار المؤرخ الاديب الرباطى رحمه الله كلام على صومعة حسان نثبته هنا بمناسبة انها كثالثة الاثلفى لمنارة اشبيلية والمنارة الكتبية وهو

(اللهم الا منارته المحكمة البنيان المتينة الاركان فانها لم يؤثر فيها توالى الايام وتعاقب الاعوام بل لازالت لابسة لحلل الجدة والبهاء سالمة من وقع عوامل الوهن والبلاء مزدانة بما أودعته يد الزخرفة على جدرانها من النقوش الرفيعة والاوضاع البديعة والتخاريم الرقيقة والزخارف الدقيقة ومن العجيب ان حيطانها العظيمة الهائلة المتواصلة خصوصاً من داخل لا زالت فى غاية ما يكون من الجدة والسلامة حتى أنه ليتخيل للناظر أنها قريبة البناء حديثة التاسيس ومما يستحق أن يذكر أيضاً ان فى أحد جدرانها على يمين الصاعد نافذتين مقوستين بهندسة غريبة واتقان وأمامها بيت مربع فى جوف قطب المركز الذى تدور عليه جدران الصومعة فاذا سامتتهما الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما فى داخل البيت المذكور فى كيفية عجيبة على شكل خطين منحرفين مشتبكى الوسط متفرقى الاطراف ولم يدر الى الان ما هى الفائدة المقصودة فعسى أن تزاح عنها فى المستقبل ستور الخفاء حتى تتجلى لعالم الوضوح والمعرفة وقد وشح كشح هذه الصومعة من خارج باقواس نقشية عظيمة دائرة بوسطها ادارة النطاق بالخاصرة وعلى أحد جوانبها فى داخل تلك الاقواس منقوش على سطح حجارات الصومعة تمثال سيفين عظيمين مرفوعى الرأس لجهة السماء كانهما يشيران لعلو همة أربابها وشموخ انوفهم وطموح أبصارهم الى ما فوق السماء

كـ

حول القرويين

تحت هذا العنوان ننشر كل ما يبلغنا من الكتاب الاماجد فى كلية القرويين ولا ريب ان الامة كلها متفقة على أن هاته الكلية يجب أن تقوم بالغاية الشريفة التى اسست لاجلها وان توفى بواجبات ماضيها الذى سبق للقراء ان شاهدوا صورة بهيجة منه فى مقالة ممتعة بالعدد السابق وان كان هناك تباين بين الافاضل الذين يتناولون هذا الموضوع الهام فى الطرق التى توصل الى الضالة المنشودة فالرجاء منهم عند الاعراب على أفكارهم أن يحترزوا غاية الاحتراز من الرمز الى الشخصيات وأن يكتبوا للامة وصالحها لا لفريق دون فريق وأن يبذلوا الجهد فى استعمال اللهجة الهادئة التى تناسب المقام وجرى عليها الماجد صاحب مقالة ﴿ ماضى القرويين ﴾ فاننا محتاجون الى الالفة والمحبة بيننا محتاجون الى الاتحاد وأقدس المهمات التى يتطلبها الوطن من ابنائه الكرام العمل لنبذ التفرقة وموالاة الجهود فى سبيل الاتحاد والوئام اذ لا يستقيم لنا حال الا اذا صرنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ولا ينجح لنا أمر الا اذا كنا ذاتا واحدة وقلبا واحداً وفكراً واحداً. وما ذلك على الله بعزيز هذا والى القراء مقالة وصلتنا من العالم الشاب سيدى محمد الصديق الفاسى فى نفس موضوع القرويين الذى فتحنا له هذا الباب من المجلة

المصالح والشخصيات

حياتنا يتنازعها عاملان حب المصالح ، وحب الشخصيات وهما عاملان متعاكسان . يحاول عبثا من يريد الحصول عليهما معا سعيا فى ايجاد نهضة من النهضات. ولسنا نقصد بالمصالح الانتفاعات الذاتية الخاصة فانها مساوية لمدلول كلمة - غرض - أو - شخصية - وانما نريد ان نفهم منها تلك الفوائد المشتركة التى تهم الامة فى معترك حياتها وتكون عونا لها على تحقيق اعمالها ومتمنياتها . فهاذه المصالح هى التى اذا اجتمعت مع أى شائبة شخصية كانت سببا فى

فشل المجتمع . وذهاب ريحه ودولته . وكانت الضربة القاضية على جميع نواحي حياته فيصير ميتا في صورة حي . وشبحا قائما لاروح فيه وبذلك ينحط من بين المجتمعات الحية انحطاطا لا نهوض وراءه الا اذا تنزهت المصالح العامة عن تدنيسها بالشهوات النفسانية . وصيرورتها العوبة في سبيل الشخصيات ظاهرة بتلك المظاهر الممقوتة الجامعة لانواع النفاق والخداع . فالمصالح العامة اذا مزجت بأية منفعة ذاتية لا يرجى من ورائها نفع للامة قطعا . لان بانعكاسها واستعمالها في منافع قاصرة تستحيل الى مفاسد عظيمة يعسر درؤها والقضاء عليها فيموت الشعب بسبب ذلك موتة لا تعقبها حياة ـ ولست قاصداً من هذه الكتابة ان استقرئ كل جزئيات هذا الموضوع وانما أردت ان اتقدم الى هيئتنا العلمية القروية فاوجه لها ثناء عريضا على صنيعها الجميل حول العلم والاصلاح ـ وما كان يجول بخلدي طرق هذا الموضوع بعد ما كتبت فيه غير مرة لولا محافظتي على شرف العقيدة والضمير اذ من الخطا وسوء الفهم أن يعاكس المرء عقيدته ارضاء للناس ونيلا لمدحهم وثنائهم بل الواجب عليه أن يكون قوي العقيدة . ثابت الجأش يحكم فكره في سائر الاشياء ويتشبث بكل ما يرى فيه النفع والصلاح . وسواء لديه اصادف ذلك لدى الناس مدحا وقبولا أم ذما ورداً ـ أما اذا كان يغالط نفسه وكان مقلداً واماعة فهذا والعدم سواء لا يوبه به ولا يعتبر وجوده في هاذه الحياة ـ وقد منينا من هاذا النوع بفرق كثيرة تمدح الموضوع الواحد ثم تذمه . لمصالح وأغراض ذاتية . فتضيع الحقائق بين سفاسف الفاظهم وترهات أقوالهم فيقولون في اصلاح التعليم بالقرويين ان الاصلاح حسن لذاته لو عرى عن اشياء وينسبون هذه المقالة للبعض من العلماء المتطوعين الذين لم يهيأ لهم مقعد في مقاعد النظام الجديد زاعمين ان الفئة المتطوعة ترى نفسها لعدم انخراطها في النظام منحطة في العلم والادب . ويقولون عن الفئة الاخرى (أعني المنظمة) انها لا تبدي اية فكرة في برامج الاصلاح الجديد سوى انها تجزم بانها أعلم وأفضل من غيرها . ويصرحون بان هذه المزاعم كلها هي عين الحقيقة والصواب لا بالنسبة الى احدى الفئتين خاصة بل اليهما جميعا فانجحت في نظرهم الفئة المنظمة الا لثبوت مكانتها العلمية ثبوتا مستفيضا . والثبوت بالمعنى المشار له ينوب عند المغاربة عن كل شيء وكذلك ما تأخرت الفئة الاخرى الا لفقد هذا الثبوت لدى الفكر العام هكذا يعتقدون ويحبذون مشروعية اختبار الاساتذة ان لوشرع عاما . لا كما وقع من قصره على الاساتذة المتطوعين بمعنى ان الامتحان لو كان مشروعا للعلماء عموما (ولو بطريقة جديدة) لا انحسمت قطعا مادة الانانة ودعوى الاستحقاق . ولكان الذي يتيقن من نفسه الاهلية والاستعداد أسبق من غيره في تقديم طلب انخراطه في سلك المدرسين والا بان كانت الاخرى (لا سمح الله) احجم باختيار منه . وتمسك على الاقل بانه عالم سلفي ـ والتنظيم شيء جديد ـ وبقطع النظر عن كل هذه الاقاويل المختلفة التي ليست مقصودة عندهم لذاتها والتي يعلقون عليها شروحا طويلة الذيل . أليس من الرأي أن نعلم ان بيت القصيد عندنا من الاصلاح هو تدارك الخطر العلمي الذي كانت تنذر به الحالة العلمية بالقرويين المرة بعد الاخرى واذا كان الحال ما ذكرنا فسواء لدينا أن باشر الدراسة والاقراء كل علماء الكلية أو بعضهم اذا كانت غايتنا الوحيدة من

الاصلاح هى النهوض بتلك الكلية الدينية من الوجهة العلمية باسترداد مجدها . وما كان لها من الذكر العظيم فى العالم منذ استطاعت تلك الفتاة الكريمة ﴿ ام البنين فاطمة الفهرية ﴾ ان تضع الحجر الاساسى لبنائها . فاسست ذلك المعهد العظيم وتقدمت الى العالم الاسلامى بهمتها التى تفوق منكب الجوزاء وبدمها العربى المتأصل فى عنصرها الكريم بهذا المشروع الكبير الخالد الذكر الى الابد . . على أن الفئة المتطوعة قد يمكنها فيما أرى مباشرة الاصلاحات العلمية كما تريد وتشاء فهى من هذه الجهة حرة فى انتقاء أساليب التعليم ومتساوية مع الفئة المنظمة ما دامت الغاية هى العلم فاللجنة العلمية المؤسسة للتحكيم فى شئون التعليم بالقرويين قد اصابت كبد الصواب فى مشروعية المباراة العلمية الصادر بها الامر الشريف أسماه الله . ومع هذا كله فان كل عالم من علمائنا يعرف . والحق يقال . نفسه بنفسه . ويعلم مبلغه فى العلم . ويشعر بالنقص الذى هو مبدأ الكمال . وهذه خصال كلها شريفة متى وجدت فى امة الاكان النجاح حليفها بحول الله واذا كانت سنة تكوين النظام القروى وتاسيسه قد انتهت (والكمال لله) كما يقوله مولانا السلطان أعزه الله فى كلماته الذهبية اثناء اقتباله الاخير لعلماء فاس فاننا نستقبل بغاية الاشتياق السنة الثانية للنظام العلمى الجديد وفيها تتدرج الكلية القروية الى الغاية المنشودة والى كل ما نؤمله لها جريا على قاعدة النشوء والارتقاء باذن الله . وبهذه المناسبة يجمل بى ان استسمح طلبة القرويين الاذكياء لأوجه لهم شكراً وعتابا : أشكرهم على نشاطهم وجدهم فى مزاولة دروسهم القيمة النافعة واعاتب منهم الذين يعاملون فى بعض الاحايين أساتذتهم النبلاء معاملة لا تتفق مع كرامتهم فانصح لهم بان يلزموا السكينة والادب وأن يعدلوا عن تلك الافكار الضارة بهم وحدهم والا فسيعلم الذين يستبدون بارائهم عاقبة الاستبداد

محمد الصديق الفاسي

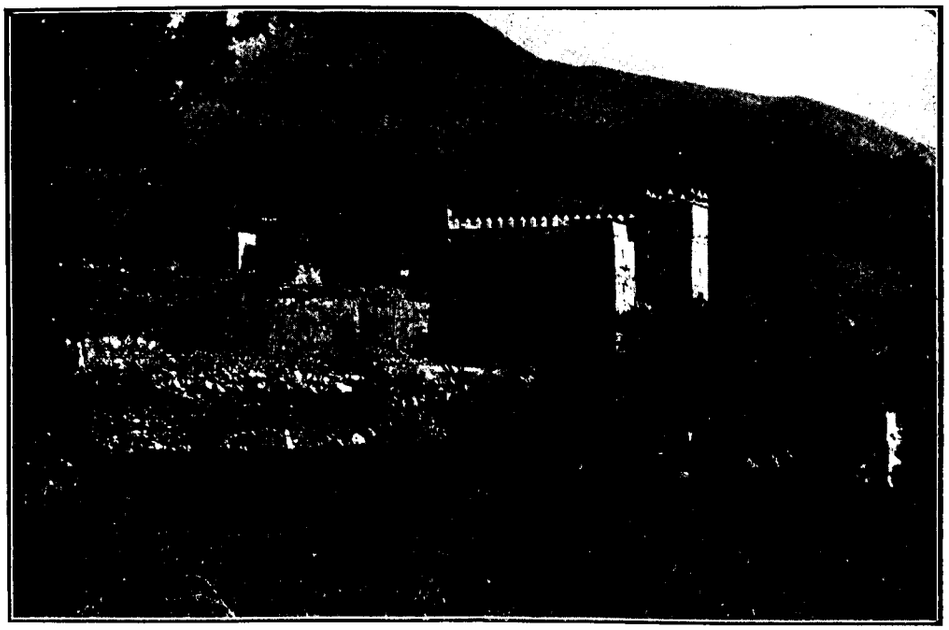

تصاوحت